بقوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين علم فرعون ان الحجة قد وجبت لكن خاف
الافتضاح عند قومه فاعرض عن مسايلة موسى ورجع الى قومه بقوله ان رسولكم
الذى ارسل اليكم لمجنون بزعمه وافاد الاستاد ان فرعون حاد عن سنن الاستقامة
فى المخاطبة واخذ فى السفاهة فقال ان رسولكم الذى ارسل اليكم يعنى بزعمه
لمجنون ولم يكن فى شى مما كان يجرى من موسى عليه السلام ما يتعلق به فقال انه
من صفة المجانين فى الكلام قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم
تعقلون علم انه لا جواب لكم غير ذلك ففى الاول لا اينهم ثم لما راى شدة
شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت الها غيرى
لاجعلنك من المسجونين عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو داب
الجهلة عند الغلبة ان يظهروا العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة قال
اولو جئتك بشى مبين اى اتفعل بى ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هناك
من المعجزة يبين صدق دعوى الرسالة المتضمنة للدلالة على وجود الصانع
وحكمته واثار صفاته الجلالة قال فات به ان كنت من الصادقين
فى ان لك بينة فان دعوى النبوة تقتضى حجة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان
مبين ظاهر ثعبانيته ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين لها شعاع
كاد يغشى الابصار ويسد افق الفلك الدوار ولعل اظهار الايتين لتكمل
نصاب الشهادتين ولتتاكد الحجة على المعاند بالقضيتين وافاد الاستاد
انه اظهر معجزته بالقاء العصا وقلبه سبحانه ثعبانا فى العصا وكاد يلتقم
دار فرعون بمن فيها ووثب فرعون هاربا من فوق قصره واختفى تحت
سريره وانتقض من الخوف ظهره وتلطخ بالوحشة ثوبه وافتضح فى دعوى
الوهيته وانفسخ عجزه فى حالته ثم انه استقال موسى واستغاث به واستجار
فاخذ موسى الثعبان فاداره فرده الله عصا كما اراده فلما فارقه موسى
عليه السلام تداركته الشقاوة وادركه شوم الكفر فى ذلك المقام واستولى

عليه

عليه الحرمان من الاسلام والانقياد للاحكام كما قيل
اذا الدعوى عاد الى جهله • كذا الشقا عاد الى نكسه •
فقال للملا حوله مستقرين عنده منقادين له ان هذا لساحر عليم
فايق فى علم السحر وماهر فى طريق الكيد والمكر يريد ان يخرجكم
من ارضكم بسحره ويكون الملك والملك تحت امره فماذا تامرون
فى دفعه وقهره بهرة سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية
الى مؤامرة القوم من العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى باظهار
الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه عن مملكته قالوا
ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث فى المداين حاشرين
جمعا يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة فانه اهون فى دعوى
الفتنة واسهل فى رفع المنازعة يأتوك بكل سحار مبالغ فى امر
السحر عليم باساليب المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم لما وقت فيه من ساعات يوم معين ونهار مبين وهو وقت
الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون اى اجتمعوا
فى تلك الحال لتشاهدوا ما جرى فى اخر المال لعلنا نتبع السحرة فى دينهم
الذى هم عليه ان كانوا هم الغالبين على موسى وما لديه فلما جاء السحرة
قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى مالا ومنالا اوجاها وقدرا ان كنا
نحن الغالبين فيما اظهرا امرا فى تفسير الثعلبى دل ذلك ان طالب الاجر
على عمله مبطل لسعيه ومضيع لامله ومن عمل لله واخلص فى طلب
رضاه كان عمله بعيدا فى طلب الاعواض منزها عن ملاحظة الاعراض
الا ترى ان الانبيا عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الامر حيث
قالوا لامهم ما اسئلكم عليه من اجر قال اى فرعون نعم لكم الاجر
المبين وانكم اذا لمن المقربين فى امر الدنيا والدين قال ابن عطا ربه

Copyright King Saud University